الوحدة الإسلامية أسسها وضرورتها الحياتية للمسلمين

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم[1]

الخلاصة:

الوحدة هي أن يحافظ المسلمون على تماسكهم وقوّتهم للوقوف أمام الأعداء وللدفاع عن أنفسهم، هذا هو تعريف الوحدة الإسلامية. وقد أشرنا في طيّات المقال إلى أسباب الوحدة وإلى دواعيها في العالم المعاصر والوقت الراهن، ثم ذكرت عشرة أمور اعتبرها أسساً للوحدة، وفي خاتمة المقال دعونا المسلمين لنبذ الخلافات والالتزام بالوحدة فيما بينهم من منطلق كوني.

الكلمات الرئيسية: الوحدة الإسلامية، أسس الوحدة، الأمة الإسلامية، أسباب الوحدة، دواعي الوحدة.

[1]. رئيس الاتحاد العالمي للطرق الصوفية وشيخ الطريقة العزمية بجمهورية مصر العربية.

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل الإيمان حالاً، والأخوّة نتيجة لحال، والصلح بينهما أمر، والتقوى لهما نور، فإذا اصطلح الإيمان مع الأخوّة، ونور بالتقوى عمّت الرحمة، سرّ قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[1].

والصلاة والسلام على سدرة منتهى علوم الخلائق، والمثل الأعلى لغيب الحقائق، نعمتك العظمى على من أهّلتهم لمشاهدة جمالك العلي، وبرزخ ما بين جلالك وجمالك، لمن أبعدته عن الفوز بالإيمان بك، نورك الأعظم المشرق على القلوب بغيوب حقائق التوحيد، وعلى الأبدان ببيان ما تحب سبحانك من الأعمال والأحوال والأقوال.. سيدنا ومولانا محمد.

اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد الذي جمّلته بمعاني صفات جمالك للمؤمنين، سر قولك: ﴿**حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[2]، المتخلّق بأخلاقك سبحانك، وآله وورثته.

اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد الذي ألّفت به بين قلوب متنافرة، وأنقذت به من النار من اخترتهم بعد أن كادوا أن يقعوا في الحافرة.

صلّ يا الله عليه وعلى آله وورثته والتابعين، صلاةً تمنحنا بها حبّك، وتعطينا به قربك وفضلك ورضوانك، وتجعلنا بها عمّالاً لذاتك، صلاةً توسع بها لنا أرزاقنا وعلومنا وأعمارنا، وتجمّل بها أحوالنا وأعمالنا.. يا رب العالمين.

وبعد:

فقد شاعت بين المصلحين ودعاة الوحدة كلمات مثل: الوحدة الإسلامية أو الاتحاد الإسلامي، والأمة الواحدة الإسلامية أو الجماعة الإسلامية، والأخوّة الإسلامية أو التآلف بين المسلمين، والتقريب

---

[1]. سورة الحجرات، الآية ١٠.

[2]. سورة التوبة، الآية ١٢٨.

بين المذاهب الإسلامية. وهذه الكلمات والتعابير ـ مع الاعتراف باشتراكها في المغزى والهدف وهو تقارب المسلمين وتآلفهم ـ إذا تأمّلنا فيها وأعطيناها حقّها من الدقة والاعتبار لوجدنا أنّ لكلّ منها مفهوماً خاصّاً يختلف عن غيره بقليل أو كثير.

ـ فالوحدة الإسلامية، أو الاتحاد الإسلامي: عبارة عن وحدة كلمة الأمة تجاه قضاياها الأساسية وأهدافها المشتركة، ووقوفها صفّاً واحداً أمام الأعداء، وهي الغاية القصوى والغرض الأقصى من كل المحاولات الجارية، والجهود الجبّارة، والدعايات الوحدوية من قبل المصلحين في العالم الإسلامي.

ـ وأمّا الأمة الواحدة، أو الجماعة الإسلامية: فتحمل في جوهرها ـ علاوة على وحدة الكلمة والصمود أمام الأعداء ـ وحدة جماعية إلى جانب الأمم الأخرى يحسن التعبير عنها بالقومية الإسلامية، فالمسلمون لهم جنسية إسلامية، قوامها الإيمان بالله ورسوله والتسليم لهما، ولهم وطن واحد، وسلطان قائم بذاته تحت قيادة واحدة، ولهم ثقافة ملموسة، وتقاليد مرسومة، مصدرها الكتاب والسنّة، وستتلى عليكم الآيات الشواهد على هذه القومية الإسلامية.

ـ وأمّا الأخوّة الإسلامية: فهي في بدو النظر تعبير عن الجانب العاطفي والتعاطف الروحي بين المسلمين، باعتباره تشديداً للعلاقة بينهم، وتبادلاً للمحبّة بين قلوبهم محبّة الأخ للأخ.

وقد قام النبي صلى الله عليه وآله في بداية الهجرة ـ بعد أن أعلن أنّ المسلمين أمة واحدة ـ بعقد الأخوّة بين المهاجرين والأنصار، قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال لهم: «تآخوا في الله أخوين أخوين»، ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب، فقال: «هذا أخي»، ثم ذكر ابن إسحاق مؤاخاة الآخرين.

ـ وأمّا الائتلاف بين المسلمين: فهو تعبير عن الجانب العاطفي فحسب لا يُثبت بمجرّده حقّاً، فلا مسؤولية بينهم.

ـ وأمّا التقريب بين المذاهب الإسلامية: فتعبير عن بذل الجهود العلمية في سبيل إزالة الفوارق التي باعدت بين المذاهب الإسلامية وأئمّتها وأتباعها، فينكر بعضهم بعضاً، وينظرون إلى المذاهب كأنّها أديان مختلفة، وكأنّ أتباعها أتباع أديان وأمم شتى وليسوا أمة واحدة، وكذلك تحسين العلاقة بين الأئمة وعلماء المذاهب وتكوين الجو الهادئ والتعارف بينهم على أساس المشتركات بين المذاهب التي تشكّل تسعيناً بالمائة أو أكثر؛ ليتبادلوا الآراء فيما اختلفوا فيه ـ وهي أقل من المشتركات بكثير ـ ولا سيما المسائل الفقهية والأصولية وغيرها.

وفي رأينا أنّ الآيتين (١٠٢) و(١٠٣) من سورة آل عمران تشملان جميع هذه المفاهيم التي ذكرناها لتلك الكلمات، وهي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً...**﴾.

فالخطاب: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾ إشارة إلى القومية الإسلامية إلى جانب أقوام اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين، قوامها الإيمان بالله ورسوله والتسليم لهما مع تقوى الله، كما قال: ﴿**اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾. والاعتصام بحبل الله هو الوحدة المنشودة بين المسلمين، ووقوفهم أمام الأعداء، والاجتناب عن التفرقة، والمعاملة مع المسائل التي اختلفوا فيها برفق، وبالتركيز على المشتركات ـ وهي حبل الله ـ والحذر من جعلها فرقاً ومذاهب، وفيها إعلان بأنّ التأليف بين القلوب والأخوّة بين المسلمين نعمة من الله (تبارك وتعالى).

الأمة الإسلامية الواحدة:

أكّد الإسلام بأنّ المسلمين أمة واحدة يجب عليهم أن يحتفظوا بتماسكهم، وبقوّتهم، وباستعدادهم للوقوف أمام أعدائهم وللدفاع عن أنفسهم، وهذه المهمة بالذات هي التي تهتم بها الطريقة العزمية.

ونحن ندعو المسلمين إلى توحيد صفوفهم والتمسك بدينهم، وندعو العلماء والقادة إلى الاجتماع حول مائدة الكتاب والسنّة، ليركزوا على المشتركات، وهي أكثر من خمس وثمانين بالمائة، سواء في صعيد السنة أو في حقل الشريعة والعقيدة، وأمّا الكتاب الكريم فهم متّفقون عليه بحمد الله تماماً.

وأمّا فيما اختلفوا فيه من المذاهب فليعترفوا جميعاً بمذاهبهم، ويجعلوها مدارس فقهية وكلامية، ويجعلوا دعوتهم باسم الإسلام، أي: لا سنّة ولا شيعة، ويتبادلوا الآراء بينهم فيأخذوا بأحسنها؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[1].

المسلمون أمة واحدة ورسولهم واحد[2]:

يتفق المسلمون جميعاً على اختلاف مذاهبهم أنّ الله هو خالق الكون، وأنّه أرسل رسوله بالشريعة التي أكملت الدين الحق الخاتم، وأنّ الإسلام هو التسليم لله والسلام للناس، كما يتفق المسلمون أنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان أسوة في تطبيق الدين المكتوب بالكلمات في حياته صلى الله عليه وآله، وكان الناس عندما يسمعون الآية منه يبادرون إلى تطبيقها جهد المستطاع، ولهذا أرادنا الله تعالى أن نقتدي به في كل ما قاله وفي كل ما فعله؛ لأنّ أقواله رسالة وأفعاله رسالة، فهو المعصوم بعصمة الله تعالى له، الذي لا يخطئ في قول ولا فعل، وقد قال الله تعالى لنا مخاطباً الناس جميعاً: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾[3]، وقال تعالى عن رسوله وهو يصفه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[4]، فلابدّ أن يكون للمسلمين جميعاً الخلق العظيم الذي

---

١. سورة الزمر، الآيتان ١٧ و١٨.

٢. السنة والشيعة نموذج الوحدة في زمن الفتن: ص١٣-٢٠.

٣. سورة الأحزاب، الآية ٢١.

٤. سورة القلم، الآية ٤.

يتحرّك في شخصيّاتنا، ويتعمّق في كياننا، أن يكون الإنسان المسلم هو إنسان الأخلاق في نفسه وفي بيته والمجتمع كله، يرى ويلمس الناس منه الخير والرحمة والمحبة، وقد قال الله تعالى وهو يتحدّث عن رسوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

لقد كان الرسول صلى الله عليه وآله رسول الإنسانية، يعيش إنسانيّته في إنسانية الآخرين، فكونوا مثله، وتأسّوا به، ليحمل كل واحد هموم الناس من حوله، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[2]، وقد عبّر صلى الله عليه وآله عن أهمية إحساس المسلمين بعضهم ببعض فقال: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر»[3]، ذلك هو شرط أن نكون مسلمين كما هو الإسلام، فالإسلام قول وفكر وعمل وإحساس وشعور بكلّ ما تعيشه الأمة الإسلامية من آلام وأحزان؛ وذلك حتى لا ينالها سوء، أو تسقط أمام التحدّيات.

أسباب الوحدة:

يُجمع المسلمون جميعاً على الإقرار بأركان خمسة والعمل بمقتضاها، وهذه الأركان هي:

١ـ شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ سيدنا محمداً رسول الله.

٢ـ وإقام الصلاة.

٣ـ وإيتاء الزكاة.

٤ـ وصوم رمضان.

---

١. سورة التوبة، الآية ١٢٨.

٢. سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

٣. صحيح مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ح٤٦٨٦. ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٨١/٣٠ ح١٨٤٣٤.

٥ـ وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً.

وهذه الأركان الخمسة هي التي وردت في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً»[١].

إنّ التعاون بين المسلمين واجب بموجب هذا الأمر الإلهي الصريح: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٢]، فكيف به إذا أضاف المسلم إليه ما يعمله ويعلّمه غيره من أنّ مكانة المسلمين، بل منزلة الإسلام، في نفوس الآخرين ستضارّ جداً إذا لم يتعاون المسلمون ويعملوا معاً لما فيه خدمة دينهم، كما أنّ مسؤولية الحكومات العمل على إيجاد فرص التعاون بين المسلمين، وتلافي كل ما يؤدي إلى الفرقة والخلاف والتخاذل، وأن تقرّ مبدأ الحوار للتقريب بين وجهات النظر، وأكثر دعاوى الخلافات الرائجة الآن بين السنة والشيعة تعدّ مفتعلة؛ لأن الجميع مسلمون، لهم رب واحد ودين واحد ونبي واحد وقبلة واحدة.

ثم إنّ الخلاف الطائفي الشيعي ـ السنّي ليس الخلاف الوحيد في تاريخنا الإسلامي وواقعنا المعاصر، فقد كانت ولا تزال هنالك خلافات مريرة داخل كل طائفة، داخل الشيعة أنفسهم وكذلك السنّة، إضافة إلى الخلافات القومية والقبلية والطبقية التي تفجّرت عبر التاريخ وتتفجّر هنا وهناك باستمرار. بحيث نستطيع القول: إنّ الخلاف الشيعي ـ السنّي يتراجع إلى درجة كبيرة أمام تلك الخلافات، وأنّه لا يوجد في الحقيقة خلاف جدّي بين الطائفتين، ما عدا وجود بعض الحواجز النفسية والمسائل البسيطة.

---

١. صحيح البخاري ١٩/١ ح٨، باب دعاؤكم إيمانكم. وصحيح مسلم، باب أركان الإسلام ودعائمه، ح ٢٠.

٢. سورة المائدة، الآية ٢.

فالأمة الإسلامية أمة واحدة، جعل الله (سبحانه وتعالى) الانتماء لها مقدّماً على الانتماء للعرق أو اللون أو الجنس، والآيات القرآنية الكريمة تؤكد هذا المعنى، وتدعو إلى توحيد الكلمة، واجتماع الصف المسلم، منها قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[2].

وقد تضمّنت ـ أيضاً ـ آيات كثيرة:

١ـ التحذير من دسائس غير المسلمين، ومن طاعتهم فيما يوسوسون به.

٢ـ التعبير عن الاتحاد بالإيمان، وعن التفرّق بالكفر؛ فإنّ معنى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]؛ أي بعد وحدتكم وأخوّتكم متفرقين متعادين.

٣ـ الاعتصام بحبل الله من الجميع هو أساس الوحدة والتجمّع بين المسلمين، وحبل الله هو: الإسلام، والقرآن، والولاء لأهل البيت، والطاعة، والجماعة... إلى آخره.

٤ـ التذكير بنعمة الأخوّة الإيمانية بعد عداوات الجاهلية وحروبها، وهذه من أعظم النعم بعد الإيمان: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[4].

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٢. سورة الأنعام، الآية ١٥٩.

٣. سورة البقرة، الآية ١٠٩.

٤. سورة الأنفال، الآية ٦٣.

٥ـ لا يجمع الأمة أمر مثل أن يكون لها هدف كبير تعيش له، ورسالة عليا تعمل من أجلها، وليس هناك هدف أو رسالة للأمة الإسلامية أكبر ولا أرفع من الدعوة إلى الخير الذي جاء به الإسلام، وهذا سرّ قوله تعالى في هذا السياق: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[١]. التاريخ سجلّ العبر، والواعظ الصامت للبشر، وقد سجّل أنّ مَن قبلنا تفرّقوا واختلفوا في الدين فهلكوا، ولم يكن لهم عذر؛ لأنّهم اختلفوا بعد ما جاءهم العلم وجاءتهم البيّنات من ربهم، ومن هنا كان التحذير الإلهي: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

هذا وقد أكّد القرآن أنّ المسلمين ـ وإن اختلفت أجناسهم وألوانهم وأوطانهم ولغاتهم وطبقاتهم ـ أمة واحدة، وهم الأمة الوسط الذين جعلهم الله ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٣]، وهم كما وصفهم القرآن: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[٤]، وأعلن القرآن أنّ الأخوّة هي الرباط المقدّس بين جماعة المسلمين، وهي العنوان المعبّر عن حقيقة الإيمان:﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٥]، وجاءت الآيات بعد هذه الآية تقيم سياجاً من الآداب والفضائل الأخلاقية يحمي الأخوّة ممّا يشوّهها ويؤذيها؛ من السخرية، واللمز، والتنابز بالألقاب، وسوء الظن، والتجسّس، والغيبة:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

٢. سورة آل عمران، الآية ١٠٥.

٣. سورة البقرة، الآية ١٤٣.

٤. سورة آل عمران، الآية ١١٠.

٥. سورة الحجرات، الآية ١٠.

هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. وحذر القرآن من التفرق أيما تحذير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[2].

الأمة هنا هي مالكة أمر نفسها، لم يجبرها الله على شيء، ولم يخصّها ـ في هذا المجال ـ بشيء، فإذا هي استجابت لأمر ربّها، وتوجيه نبيّها، ودعوة كتابها، ووحّدت كلمتها، وجمعت صفّها، عزّت وسادت وانتصرت على عدوّ الله وعدوّها، وحقّقت ما يرجوه الإسلام منها، وإن هي استجابت لدعوات الشياطين، وأهواء الأنفس تفرّقت بها السبل، وسلّط عليها أعداؤها، من خلال تفرّقها، وتمزّق صفوفها، وإلّا لم يكن هناك معنى لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[3]، ولا لقوله سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[4]، ولا لقوله (جلّ شأنه): ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[5]، ولا لقوله (عزّ من قائل): ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[6]، ولا لقوله: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[7].

---

١. سورة الحجرات، الآيتان ١١ و١٢.

٢. سورة الأنعام، الآية ٦٥.

٣. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٤. سورة الأنفال، الآية ٤٦.

٥. سورة الصف، الآية ٤.

٦. سورة الروم، الآيتان ٣١ و٣٢.

٧. سورة المؤمنون، الآية ٥٢.

الوحدة الإسلامية من الواقع المعاصر

تعدّ الوحدة الإسلامية ضرورة لمواجهة التحدّيات التي تواجه الأمة الإسلامية في العصر الحاضر، كما أنّها ضرورة في كل عصر، ولذا لا يحقّ للمسلم أن يتّهم غيره من المسلمين بالكفر أو عدم الإسلام، ما دام الجميع يلتقون حول الأصل الذي دعا إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وفي هذا الواقع المعاصر نجد أنّ الدعوة القرآنية النبوية هي الأصل الذي ينفع الناس في هذا الزمان، ولابدّ من القول: إنّنا لا نتصوّر أن شعار الوحدة الإسلامية يعني دعوة الشيعة إلى أن يتنازلوا عن التزاماتهم الثقافية العقدية في ما يستنبطونه من التاريخ، أو أن يتنازل السنّة عما اقتنعوا به من القضايا التاريخية، وهكذا الشأن في القضايا الفقهية، بل إنّ مسألة الوحدة الإسلامية تنطلق من المنهج الموضوعي الذي يدرس الواقع التاريخي الإسلامي بطريقة علمية، بحيث يدرس المثقفون والعلماء كل ما بأيدينا من نصوص في الكتاب الكريم والسنّة النبوية دراسة بعيدة عن الحساسيّات والعواطف؛ لأنّ مشكلتنا أنّنا ندرس الكثير من نصوص التاريخ أو نصوص القرآن الكريم على أساس مشاعرنا لا على أساس عقولنا، ولهذا فإنّ الكثيرين قد يأخذون موقفاً مسبقاً من مختلف القضايا، فإذا كان النصّ يتّفق مع موقفهم أخذوا به، وأمّا إذا كان لا ينسجم مع ما توارثوه فإنّهم يعملون على تأويله وإبعاده عن ظاهره وعن سياقه؛ ولذا فقد أصبحت عملية استظهار النصوص خاضعة للذهنيّات المسبقة التي تحملها، وغدونا نفرض الكثير من هذه الذهنيّات على القرآن نفسه، حتى صار القرآن صورة لما نفكّر به، بدل أن يكون ما نفكّر به صورة للقرآن، والأمر نفسه حصل بالنسبة للمسائل التاريخية التي تتّصل ببعض الخطوط الفكرية والثقافية والعقدية، فإنّ البعض يختار من النصوص التاريخية ما يناسبه ويرفض منها ما لا يروق له، أو أنّه يحاول أن يرتّب التاريخ على حسب مزاجه ومذاقه الفكري، لا أن يجعل مزاجه الفكري خاضعاً لنتائج البحث العلمي التاريخي.

إنّ المشكل هو أنّ عواطفنا هي التي تحكم الكثير من حركة البحث عندنا، ولسنا عقلانيّين موضوعيّين ـ في الأغلب ـ ندرس الأمور على أساس الكتاب والسنّة انطلاقاً من القواعد التي يتلاقى عليها الناس في فهم النصّ العربي، ولا نخضع تفكيرنا للنتائج المستفادة من الكتاب والسنّة، حتى إذا جاءنا شخص وقال: إنّ الكتاب ظاهر في أمرٍ ما، أو السنّة ظاهرة في حكم ما ممّا لا يتّفق مع المألوف والمتوارث، نادينا بالويل والثبور وعظائم الأمور، وتحرّكت حملات التكفير والتضليل والتفسيق.

إنّ الذين يتّبعون هذه الأساليب باتّهامهم من يخالفهم في اجتهاداتهم بالكفر والضلال والفسق والانحراف ضعفاء في ثقافتهم كما هم ضعفاء في حجّتهم؛ لأنّ من يملك الحجة لا يلجأ إلى مثل هذا الأسلوب، ومن يملك البرهان الساطع لا ينطق بالكلمات غير المسؤولة.

وعندما ندعو إلى قراءة التاريخ بموضوعية، ندعو قبل ذلك إلى تنمية الذهنية الموضوعية التي تتحرك بدون أفكار مسبقة، بل تلحظ ما يقوله العقل القطعي لتأخذ به، وليس كل ما يعتبره البعض حكماً عقليّاً فهو في الحقيقة حكم عقلي لابدّ أن نعتمده ونؤوّل النصوص على ضوئه، ثم إذا امتلكنا الذهنية الموضوعية نأتي إلى النصوص التي بأيدينا والتي تمثّل الأساس الفكري عندنا دراسة من لا يحمل فكراً مسبقاً موروثاً أو مكتسباً من المحيط والبيئة بحيث يحاكم النص ويفهمه على ضوئه.

ونحن نعتقد أنّ الدراسة الموضوعية لا تنتج حساسيّات ولا تخلق مشاكل تؤثّر على وحدة المسلمين؛ لأنّها تقوم على أسس علمية تخاطب في الإنسان عقله بدل أن تحرّك غريزته وعصبيّته، وإنّما الذهنيّات الغرائزية هي التي تحاول أن توجّه العقل بغرائزها ولا تحاول أن تخاطبه بعقلانيّتها[1].

---

١. السنة والشيعة نموذج الوحدة في زمن الفتن: ص٧٧-٨٠.

دواعي الوحدة في العالم المعاصر:

إذا كان الله قد طلب منّا أن ندعو أهل الكتاب ـ وكم بيننا وبين اليهود والنصارى من خلافات في العقيدة وفي كثير من القضايا ـ إلى كلمة سواء بيننا وبينهم، أفلا نقول لأهل القرآن من المسلمين: تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم؟! إنّ الأمر الذي يفرضه علينا القرآن في التوحّد هو ما يناسب حالة الأمة التي تتعرّض منذ زمن بعيد إلى حالة حصار؛ لأنّهم يعلمون جيّداً أنّ وحدة المسلمين تمنع مخطّطاتهم، ولنتأمّل ما قاله بعض قادة ومفكري الغرب وغيرهم عن الإسلام:

* وجدنا أنّ الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام وفي قدرته على التوسّع والإخضاع وفي حيويّته المدهشة. (لورانس براون).

* من يدري؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهدّدة بالمسلمين يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب. (ألبر مشادور).

* إذا اتّحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا أيضاً لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا نعمة له، أمّا إذا بقوا متفرّقين فإنّهم يظلّون حينئذٍ بلا وزن ولا تأثير. (المنصِّر لورانس براون).

* إنّ الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أنّ النائم قد يستيقظ. (أرنولد توينبي).

* وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟ (لاكوست وزير المستعمرات الفرنسي عام ١٩٦٢م).

* لا يوجد مكان على سطح الأرض إلاّ واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق أي دين آخر. (هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقاً).

* إنّ الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيّرون نظام العالم. (سالازار).

* إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلّم الكلام المناسب عن الإسلام، فإنّ من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى. (المستشرق البريطاني مونتجومري وات).

* إنّ أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد. (بن جوريون).

* يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم؛ حتى ننتصر عليهم. (الحاكم الفرنسي في الجزائر بعد مرور مائة عام على احتلال الجزائر).

* يجب أن ندرك أنّ الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية.. لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

* إنّ الظروف التاريخية تؤكّد أنّ أمريكا إنما هي جزء مكمّل للعالم الغربي: فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثّلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلاّ أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية؛ لأنّها إن فعلت عكس ذلك فإنّها تتنكّر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسّساتها. (أيوجين روستو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م).

* لقد كان إخراج القدس عن سيطرة الإسلام حلم المسيحيّين واليهود على السواء، إنّ سرور المسيحيّين لا يقلّ عن سرور اليهود، فالقدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد أصدر الكنيست

اليهودي ثلاثة قرارات بضمّها إلى القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود. (راندولف تشرشل).

* كان قادتنا يخوِّفوننا بشعوب مختلفة، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبرّراً لمثل تلك المخاوف.. كانوا يخوِّفوننا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني الأصفر، والخطر البلشفي.. لكنه تبيّن لنا أنّ اليهود هم أصدقاؤنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، أمّا اليابانيون، فإنّ هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفّل بمقاومتهم، لكننا وجدنا أنّ الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام وفي قدرته على التوسّع والإخضاع، وفي حيويّته المدهشة. (لورانس براون).

* إنّ الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود النفط بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام. يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوّة العرب؛ لأنّ قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوّة الإسلام وعزّته وانتشاره، إنّ الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الأفريقية. (مورو بيرجر).

* لمّا وقف كرزون وزير خارجية إنجلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مع تركيا، احتج بعض النوّاب الإنجليز بعنف على كرزون، واستغربوا كيف اعترفت إنجلترا باستقلال تركيا التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب، فأجاب كرزون: لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم؛ لأنّنا قضينا على قوّتها المتمثلة في أمرين: الإسلام والخلافة. فصفّق النوّاب الإنجليز كلّهم وسكتت المعارضة. (كرزون وزير خارجية إنجلترا).

* إنّ الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التملّص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، ومن أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتّجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية. (القس سيمون).

وبعد، فإنّ المنهج القرآني لوحدة الأمة هو الأمثل لتحقيق التكامل الإسلامي، وذلك دون أن يرغم أحد على التخلي عن مذهبه الفقهي ما دام أنّ الكلّ يأخذ من القرآن الكريم، كما أنّ حب المسلمين لأهل البيت النبوي من أقوى دعائم الوحدة؛ لأنّنا ـ نحن المسلمين ـ شيعة، وكلّ الشيعة سنّة، وكلّ المسلمين أخوة[1]، ولابدّ أن نعمل على وحدتهم عن طريق التقريب بين أتباع المذاهب الإسلامية.

أسس الوحدة

الأمر الأول: وحدة الأمة الإسلامية

من الأمور التي لا يشك فيها مسلم هي: أنّ الأمة الإسلامية بجميع مذاهبها وأقوامها وشعوبها أمة واحدة، وأنّ الوحدة هي جوهر أركان الإسلام ـ وما أجمل ما قيل: (بني الإسلام على كلمتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة) ـ وأنّ المسلمين ما وصلوا ولن يصلوا إلى تحقيق أهداف الإسلام السامية إلاّ بالوحدة، وأنّ عزّ المسلمين ومجدهم رهين بوحدتهم، وليس بعد اختلافهم وتنازعهم إلاّ ضعف الشوكة وحلول الوهن بهم.

الأمر الثاني: لا خلاف على الأصول الأساسية

إنّ الأصول الأساسية للإسلام لا خلاف فيها ـ والحمد لله ـ بين المسلمين، فكلّهم يعتقدون بتوحيد الرب تعالى، وبنبوّة سيدنا محمد والأنبياء قبله (صلوات الله عليهم أجمعين) وبالمعاد، والجنّة والنار، وبالصلاة والصوم، والحج والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنّ كتابهم واحد، وقبلتهم واحدة.. إلى غير ذلك من أركان العقيدة والعمل. وإنّ هذه الأصول المتفق عليها والمشتركة بين المذاهب الإسلامية هي بالذات ملاك الأخوّة الإسلامية، ومعيار وحدة الأمة، دون

---

[1]. المصدر السابق ص٨٧-٩٢.

غيرها من المسائل المختلف فيها والآراء الخاصة بكلّ مذهب، التي تدخل في معايير المذاهب نفسها دون أصل الإسلام.

الأمر الثالث: عدم إدغام المذاهب

إنّ دعوة الناس إلى وحدة الأمة لا يعنى بها: رفض المذاهب كلّها أو بعضها، كما لا يراد بها: إدغام المذاهب والمساومة عليها؛ وذلك بأخذ شيء من كل مذهب ورفض شيء بحيث تكون الحصيلة صفقة مرضية لأتباع المذهب، كما لا يعنى بها: تبديل مذهب بمذهب، أو إحداث مذهب جديد في الإسلام، كما لا يعنى بها: الاكتفاء بالمشتركات ورفض موارد الاختلاف والإعراض عنها تماماً.

نعم، لا يراد بالوحدة والتقريب شيء من هذه الوجوه المتصورة التي ربما يوجد لكل منها أنصار بين المسلمين الذين يدعون إلى وحدة الأمة، فإنّا نعتقد أنّ هذه كلّها أحلام كاذبة وآراء باطلة، ونرفض كل هذه الفروض والصور المحتملة؛ لأنّها ليست عملية، ولا سبيل إلى تحقيقها أصلاً وبتاتاً، والذي يدعو إلى واحدة منها لا يصل إلى تحقيقها، بل يزيد في الطنبور نقرة، ويوسع شقّة الخلاف والخصام بين الأنام.

وإنما السبيل الوحيد الذي نتبنّاه ـ اقتداءً بالسلف الصالح من علماء المسلمين والنخبة من المصلحين في العالم الإسلامي ـ هو التأكيد والركون إلى المشتركات في حقل العقيدة والشريعة باعتبارها الأساسية للإسلام، وكونها ـ كما قلنا ـ معياراً للأخوة الإسلامية ووحدة الأمة. هذا مع الاحتفاظ بالمذاهب والاحترام المتقابل بين أتباعها فيما وراء هذه الأصول من المسائل الجانبية الفرعية، التي يسوغ الخلاف فيها ضمن إطار الدليل والبرهان، والتي تعتبر غير ضرورية، ويكون باب الحوار والاجتهاد فيها مفتوحاً.

إنّ الاختلاف في مثل هذه المسائل مقبول ولا ضير فيه، بل لا مناص منه، فلكلّ ذي رأي رأيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1] أي: للرحمة، أو للاختلاف على الخلاف.

الأمر الرابع: الإيمان بالأصول الأساسية العقائدية

قد تبيّن مما سبق أنّ المراد بالمذاهب الإسلامية: هي المذاهب التي تؤمن بتلك الأصول الأساسية العقائدية والعملية التي يلتزم أتباعها بالعمل بها بحيث يمكن أن يدخلوا في إطار الأمة الإسلامية ويُعَدّوا مسلمين، والذين ينكرون أصلاً من تلك الأصول فنحن لا ندعوهم إلاّ إلى الأخذ بما أخذ به إخوانهم المسلمون ليدخلوا زمرة الأمة الإسلامية.

الأمر الخامس: تعيين المشتركات والأصول

لابد من تعيين المشتركات والأصول الأساسية للإسلام ـ وإن كانت معلومة إجمالاً ـ من قِبل نخبة من علماء المذاهب الإسلامية في مؤتمر عام، وفي لجان تخصصية مهمّتها تشخيص الأصول المتفق عليها؛ لتكون معياراً للحكم على من لا يلتزم بشيء منها بأنّه خارج عن الأمة أو أنّه غير مسلم.

الأمر السادس: عدم رمي الآخرين بالكفر

ما دام لم يوضح ولم يحدد هذا المعيار (الكفر والإيمان)، فليس لأحد رمي الآخرين بالكفر، كما أنّه لا يجوز المسارعة في الحكم به على أهل القبلة وعلى كل من التزم بالأصول الإسلامية المتفق عليها، وحتى لو شك في التزامه بها، بل ويجب الاجتناب بشكل قاطع عن تشكيل محكمة

---

١. سورة هود، الآيتان ١١٨ و١١٩.

من قبلنا لتقسيم الجنة والنار بين المسلمين، ولكن وجب أن نوكل هذا الأمر إلى الله تعالى؛ فإنّه الحكم العدل بين عباده ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1].

الأمر السابع: عدم الاستناد إلى الإشاعات

المسائل الخلافية يجب أن تبيّن على يد علماء المذاهب واعتماداً على المصادر المعتبرة عندهم، ولا يجوز الاستناد إلى الإشاعات والأقوال غير المسندة، أو إلى ما يروّجه أعداء كل مذهب جهلاً وكذباً ضدّ الآخرين، ولا الاستناد إلى أقوال وأفعال الجهّال من أتباع كلّ مذهب ممّا يرفضه علماء ذلك المذهب والخبراء بأسراره.

الأمر الثامن: اتّخاذ منطوق أقوال المذاهب ملاكاً للحكم عليها

ينبغي اتّخاذ منطوق أقوال المذاهب ملاكاً للحكم عليها، ولا ينظر إلى مستلزمات تلك الأقوال ممّا يرفضها أصحاب المذاهب، وعلى سبيل المثال: لو قال أحد المذاهب بأنّ الله يُرى في الآخرة، لا يسوغ لنا أن نحمّل هذه العبارة ما يستلزمها عقلاً وهو (أنّ الله جسم) ما دام أئمة هذا المذهب ينكرون ذلك صراحة ـ وقد أنكروه بالفعل ـ بادّعاء عدم الاستلزام ابتداء، أو بتوجيه الرؤية إلى نحو من العلم والإدراك الباطني؛ فإنّ القول بالتجسيم للذات الإلهية مرفوض لدى المذاهب المعروفة بين المسلمين، ويعدّ هذا من جملة الأصول الأساسية للتوحيد، ولهذه المسألة أمثلة شتى في أكثر المذاهب لا مجال للخوض فيها.

الأمر التاسع: عدم سيطرة الفروع على الأصول

وذلك بأن لا نجعل المسائل الخلافية الجانبية في نفس درجة أهمّية المسائل الأصولية المتفق عليها، ممّا قد يؤدي إلى سيطرة الفروع على الأصول في زحمة الاختلافات الفرعية، بل يجب

---

١. سورة النحل، الآية ١٢٤.

نسيانها مؤقتاً إذا زاحمت المسائل الأساسية، لئلاّ تصرفنا عن الاهتمام بتلك الأصول، غافلين عنها ومشتغلين عن الأهمّ بغيره.

الأمر العاشر ـ والأخير ـ: فتح باب الاجتهاد في كل المذاهب الإسلامية

ينبغي السعي لفتح باب الاجتهاد في كل المذاهب الإسلامية، وفي كل الأبعاد ـ بالنسبة إلى المسائل الخلافية غير الضرورية ـ لكي تكون أبواب البحث فيها مفتوحة على أساس الالتزام بالحق والاحتجاج بالدليل، وتكون القلوب مفتوحة ومستعدة لقبول ما انتهى إليه البحث حسب الدليل، مع رعاية جانب الإنصاف وأدب الجدال بالتي هي أحسن، ومع النظر إلى تلك المسائل الخلافية من منظار التقريب والتحبيب سعياً للوفاق مهما أمكن، لا من منظار الخلاف والخصام سعياً إلى الشقاق[1].

الخاتمة

على الرغم من كل السحب الكثيفة السوداء التي تغطي سماء الأمة الإسلامية فنحن لسنا يائسين؛ فإنّه لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون.

ولا زلنا نأمل في تيقّظ وعي الأمة وصحوة ضميرها وتجديد شباب عقيدتها ونقاء فكرها حتى تأخذ مكانها اللائق بها بين الأمم في عصر التكتّلات الدولية.

فلا يليق بكرامة هذه الأمة أن تعتمد في غذائها بنسبة سبعين في المائة على غيرها من دول العالم، ومن المعلوم أنّ من لا يملك غذاءه لا يملك قراره. لازلنا نأمل أن تعود هذه الأمة صاحبة قرارها ومقرّرة مصيرها، وأن تسهم إسهاماً حقيقيّاً في تقرير مصير هذا العالم.

بالاتّحاد يعود المجد، ويقهر الضدّ، بالاتّحاد سعادة المجتمع والأفراد، وتحصيل الخير العام وحفظه إلى أبد الآباد، وليس بيننا وبين الاتّحاد إلاّ أن نتذكّر ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ لنعلم مضارّ

---

١. الوحدة الإسلامية عناصرها وموانعها، ص١٣٣-١٤٩.

التفرقة، فنكره حظوظنا وأهواءنا وملاذّنا التي تدعو إلى التفرقة، ونكون جسداً واحداً يعمل كل فرد منّا لخير المجتمع بقدر نفسه، كما يعمل كل عضو لخير الجسد، وللجسد قلب ورأس وجذع وأطراف، ولكلّ عضو عمل خاص به، ومتى تفرّقت الأعضاء هلك الجسد وأعضاؤه، فالأعضاء تنفع الجسد، والجسد ينفعها. وأكبر الجهاد جهاد النفس، ومن قهرته نفسه أن يجاهدها كيف يجاهد غيرها؟! وقد لاح للأبصار وميض برق الاتّحاد فقوّى الأمل، وآن وقت العمل، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

لا زلنا نأمل في غد مشرق للأمة الإسلامية، تتوحّد فيه جهودها، وتتّفق ـ على الأقل ـ على قضاياها المصيرية. ونرجو أن تتحوّل هذه الآمال ـ عن قريب ـ إلى برامج عمل لمصلحة هذه الأمة حتى تتحقّق بما أراده الله لها: أن تكون خير أمة أخرجت للناس قولاً وفعلاً[1].

أسأل الله أن يجمع أمرنا، ويهدي ضالّنا، ويوفّقنا لما يحبّ ويرضى.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين.

---

١. هموم الأمة الإسلامية، ص٧١-٩٣.

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. هموم الأمة الإسلامية، للدكتور محمود حمدي زقزوق، بتصرف، د.١، دار الرشاد ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، القاهرة.

٣. الوحدة الإسلامية عناصرها وموانعها، لسماحة الأستاذ محمد واعظ زاده ص١٣٣-١٤٩، الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، ط:١، طهران، ١٤٢١هـ

٤. صحيح البخاري، البخاري، ابو عبد اللّه، محمد بن اسماعيل، صحيح، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ ق.

٥. صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، المحقق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، ١٤٢٧هـ

٦. السنة والشيعة نموذج الوحدة في زمن الفتن، ط.١، ٢٠١٠م ـ ليبيا.

٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة،١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.